وَلا يَـنْـثَـنـي حَـتـى يُـخَـلّـي جَـمـاجِـمـاً
تَـمُـرّ بـهـا رِيـحُ الـجَـنُـوبِ فـتَـصْـفِـرُ[١]
وَأجْـسـادَ قَـوْمٍ يـسـكـنُ الـطّـيـرُ حـوْلَـهـا
إلـى أنْ يَـرى وَحـشَ الـفـلاةِ فـيـنْـفِـرُ[٢]

ما الفخر في جمع الجيوش

قال في حرب كانت بين عامر وعبس يذكر قتل زهير بن جذيمة:

[الطويل]

إذا نـحـنُ حـالَـفْـنـا شِـفَـارَ الـبَـوَاتِـرِ،
وَسُـمْـرَ الـقـنـا فَـوْق الـجـيـادِ الـضّـوَامـرِ[٣]
عـلـى حـرْبِ قَـوْمٍ كـانَ فـيـنـا كِـفَـايَـةً
وَلَـوْ أنّـهُـمْ مِـثْـلُ الـبِـحَـارِ الـزّوَاخـرِ[٤]

(١)، (٢) إن الشاعر لا يرجع من المعركة إلا وقد طرح الأبطال جثثاً خامدة بلا رؤوس، فإذا بالريح تنفخ بها زمجرة الموت الرهيب. وإذا بالأجساد بموكب الموت الحزين تحيط بها الطيور الكاسرة فتنهش لحومها، ويكتمل المشهد المرعب باجتماع الوحوش الكاسرة حولها.

(٣)، (٤) البواتر، واحدها باتر: السيوف القاطعة. يعتدّ الشاعر بقومه إذا اجتمعوا على أمر واحد؛ فهم يُحالفون السيوف الباترة والرماح السمر ويمتطون الجياد المعتادة على الجولان في الحرب، فإذا أراد قتال قوم كانوا كفاءً لأعدائهم مهما كانت أعداؤهم كثيرة العدد كالبحار الزاخرة بما فيها من عتاد وعدد.

وَما الفَخْرُ في جَمعِ الجيوشِ وَإنّما
فَخارُ الفَتى تَفْريقُ جَمعِ العساكرِ (١)

سَلي، يا ابْنَةَ الأعمامِ! عنّي وَقدْ أتتْ
قَبائلُ كَلْبٍ مَعْ غَنيٍّ وَعَامرِ (٢)

تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ تحتَ غمامةٍ
قدِ انتسجتْ من وَقعِ ضَرْبِ الحوَافرِ (٣)

فَوَلَّوْا سرَاعاً وَالقَنا في ظُهورِهِمْ
تَشُكّ الكُلى بَينَ الحَشا وَالخواصرِ (٤)

وَبالسّيْفِ قد خلّفتُ في القَفرِ منهمُ
عِظاماً ولَحْماً للنّسُورِ الكوَاسِرِ (٥)

وَمَا رَاعَ قَوْمي غيرُ قَوْلِ ابنِ ظالمٍ
وَكانَ خَبيثاً قَوْلُهُ قَوْلَ ماكِرِ (٦)

بَغى وَادّعى أنْ ليس في الأرْض مثلُهُ
فَلَمّا التقينا بانَ فَخْرُ المُفاخرِ (٧)

---

(١) والفخر يتوقف على فعل القبيلة بأعدائها وليس بعدد مقاتليها؛ فالبطولة تكمن بالنوعية وليس بالكمية.

(٢)، (٣) يقصد بالغمامة: شدّة الغبار. يخاطب الشاعر ابنة عمّه طالباً منها أن تستعلم عن شجاعته وحسن بلائه في الحروب يوم التقت قبيلة عبس بقبائل كلْب وغنًى وعامر، وكانوا يموجون كبحر متلاطم الأمواج لكثرتهم وقد علتهم غمامة كبيرة من غبار سدّ الآفاق، نسجتها حوافر خيولهم.

(٤)، (٥) لم تنفعهم كثرتهم؛ فإذا بهم يُولّون هاربين ممّا نزل بهم من هزيمة شنعاء، فإذا ببني عبس ينتهزون الفرصة فيأخذونهم من ظهورهم لجبنهم ويُعملون فيهم تقتيلاً كيفما اتّفق، فإذا بدمائهم تسيل من كلاهم وخواصرهم، وبالسيوف تنزع لحومهم عن عظامهم وتقدمها للنسور الكاسرة طعاماً سهل المنال.

(٦)، (٧) بغى: ظلم وتجبّر. لقد أثار خوف بني عبس قول ابن ظالم، ادّعاؤه =

أُحِــبّ بَــنــي عــبْــسٍ وَلــوْ هَــدرُوا دمــي
مَــحَــبّــةَ عَــبْــدٍ صَــادِقِ الــقــوْلِ صَــابــرِ(١)
وَأَدْنُــو إذا مَــا أبْــعَــدُونــي وَأَلْــتَــقــي
رِمــاحَ الــعِــدا عَــنْــهُــمْ وَحَــرّ الــهــوَاجــرِ(٢)
تَــوَلّــى زُهَــيــرٌ وَالــمَــقَــانِــبُ حَــوْلَــهُ
قَــتــيــلاً وَأَطْــرافُ الــرّمــاحِ الــشّــوَاجــرِ(٣)
وَكــانَ أجَــلَّ الــنّــاسِ قَــدراً وَقــد غَــدا
أجــلَّ قــتــيــلٍ زَارَ أهْــلَ الــمَــقــابــرِ(٤)

= بأنه البطل الذي لا يُقهر؛ كان قوله ينطوي على مكر وخداع، وعند اللقاء انكشفت حقيقة الأمر عن كذبه وافترائه؛ فإذا به يُعانق الثرى صريعاً، وقد تعرّى من فخره الفارغ.

(١) يعلن الشاعر عن مدى حبّه وإخلاصه وانتمائه لبني عبس مهما فعلوا معه، حتى في حال إهدارهم دمه، ولم يعملوا على الثأر من قاتليه، إنها محبّة صادقة لعبد صابر على أذاهم. في الحقيقة لقد ناضل عنترة ضدّ العبودية، فكيف يُقرّ بأنه عبد؟ وهذا ما يجعل القصيدة منحولة.

(٢) الهواجر، واحدتها هاجرة: حرّ الظهيرة، يقصد هنا المعارك. مبادلة غير متكافئة، يقترب الشاعر من بني عبس حبّاً وكرامة ويُبادلونه نكراناً فيُبعدونه ويبتعدون عنه، بينما هو يلتقي الرماح الموجهة من قبل الأعداء بصدره دفاعاً عنهم في أشدّ المعارك عنفاً وخطراً.

(٣)، (٤) يُظهر الشاعر شماتته بمقتل زهير بن جذيمة، وليست تلك عادة الأبطال الحقيقيين، لقد كان زهير محاطاً بأبطال بني قومه يمتطون خيولهم، ويتسلّحون برماح تحمل الموت بأسنّتها. لقد كان في حياته جليل القدر محترماً، فإذا بالموت يلفّه بردائه وقد حلّ بزمرة أهل القبور.

فَـوَا أسـفـا! كـيـفَ اشْـتَـفـى قَـلْـبُ خـالـدٍ
بـتـاجِ بَـنـي عَـبْـس كِـرَامِ الـعـشَـائـرِ[١]
وَكَـيْـفَ أنـامُ الـلّـيْـلَ مـن دونِ ثـأرِهِ
وَقَد كان ذُخرِي في الخُطوبِ الكبائرِ[٢]؟

هم الأحبّة

قال في كبره:

[البسيط]

ذَنْـبـي لِـعَـبْـلَـةَ ذَنْـبٌ غـيـرُ مُـغْـتَـفـرِ
لـمّـا تَـبَـلّـجَ صُـبـحُ الـشّـيـبِ فـي شَـعَـرِي[٣]
رَمَـتْ عُـبَـيْـلَـةُ قَـلْـبـي مـن لـوَاحـظِـهـا
بـكُـلّ سـهـمٍ غـرِيـقِ الـنَّـزْعِ فـي الـحَـوَرِ[٤]
فـاعْـجـب لـهُـنّ سـهَـامـاً غـيـرَ طـائِـشَـةٍ
مـن الـجُـفُـونِ بـلا قَـوْسٍ وَلا وَتَـرِ[٥]

(١)، (٢) يأسف الشاعر على ما آل إليه حال خالد من خلع تاج الملك عنه في بني عبس، أكرم قبائل العرب وما حلّ به من موت. ويسأل نفسه كيف يستطيع النوم، ولم يأخذ بثأره؟ فلم يكن إنساناً عادياً، فقد كان مرجعه في الملمات العظام يفيء إليه ليساعده إذا ألمّت به مكروهة.

(٣) تبلج: أشرق. إن عبلة لن تغفر للشاعر، فقد آذنت الرحلة على الغروب، وبدأ الشيب يغزو رأسه، ومن طبع النسوة الفرار من الشيخوخة والميل إلى الشباب والحيوية.

(٤)، (٥) النزع للسهم من موقعه: اقتلاعه. الحور: شدّة سواد العين وشدّة =